مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة التاسعة

معنى وخُزّان العِلم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسْعَدَ اللهُ أيامكم وتَقَبَّل الله طاعاتكم في هذه الأوقات الشريفة، هذه الحلقة التاسعة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ربما تكون هذه آخر حلقة قبل شهر رمضان المبارك فيوم الخميس القادم إذا كان من شهر شعبان فستكون الحلقة الأخيرة قبل شهر رمضان في يوم الخميس القادم، وإذا كان يوم الخميس القادم هو الأول من شهر رمضان المبارك فإننا ستشرع كما أخبرتكم من قبل في شهر رمضان في اليوم الأول نشرع في برنامج قرآننا وفي اليوم الثاني سيكون الشروع ببرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، فبين يوم ويوم طيلة الشهر الشريف نعيش بين أجواء الكتاب والعترة.

اليوم وصلنا إلى قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه: **وَخُزّانَ الْعِلم**.

وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، الزيارة تقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم** – أقفُ اليوم في هذه الحلقة من برنامجنا هذا عند قولهِ صلوات الله وسلامه عليه – **وَخُزّانَ الْعِلم** – هذا العنوان وهذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة لربما هي أهم فقرات وأهم عناوين الزيارة الجامعة، لأن مدار كل الأوصاف ولأن مدار كل الحالات ومدار كل المقامات والمراتب هو العلم – **وَخُزّانَ الْعِلم** – خُزان جمعٌ لخازن والخازن هو الذي يتولى أمر الخزانة، هناك خُزانة، طبعاً هذا الكلام بالنسبة لِمَا هو في حياتنا الدنيوية وبالنسبة للمعاني اللغوية، خُزان جمعٌ لخازن والخازن هو الذي يتولى أمر الخزانة، يحافظ عليها، يُشرف عليها، يدبر أمورها، والخزانة هي الموضع والمحل الذي تحفظ فيه الأسرار، تحفظ فيه الأشياء الثمينة، يحفظ فيها كل ما له قيمة، العلم واضحٌ معناه وهو ضد الجهل، وفي كثيرٍ من الأحيان إنما تُستبان الأشياء بأضدادها، العلم هو أن يكون الإنسان على حالةٍ أو على حالٍ أن يوصف فيها بأن يكون حاملاً مالكاً حاصلاً على ما يسمى بالعلم والذي هو ضدُ الجهل، وخُزان العلم بحسب المعاني اللغوية لهذه التركيبة اللفظية يعني هناك

خزائن ويخزن في هذه الخزائن العلم وهم المشرفون المتولون على ذلك، هذا المعنى اللغوي إذا أردنا أن نفكك هذه الكلمة أو هذه العبارة تفكيكاً لغوياً، خُزان العلم، وإلا سيتضح لنا فيما بعد من خلال الآيات الكريمة ومن خلال النصوص المعصومية أنهم هم خُزانة العلم الإلهي، ولا يوجد هناك شيء اسمهُ خُزانة وهم يشرفون على هذه الخزانة لكنني بينت هذا المعنى لأجل تفكيك الكلمة تفكيكاً لغوياً، فَخُزَّان جمعٌ لخازن والخازن هو الذي يُشرفُ على الخزانة، أما هنا في الزيارة فالمراد أنهم هم خزائن علم الله، فالكلام هنا ليس عن عالم الدنيا، الكلام هنا عن العوالم الإلهية، عن العوالم القادسة، عن العوالم العلوية، فهم خزائن علم الله سبحانه وتعالى في عوالمِهِ العليا وفي عوالمه السفلى، هكذا إذاً نُسلم على ائمتنا:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم – أما العلم فما المراد منه؟ العلم قد يُقال في تعريفهُ هو انطباع الصور العلمية أو انطباعُ صور الحقائق الخارجية الموجودة في الخارج، الموجودة في الواقع والمراد من الواقع ربما يكون أعم من الخارج، لأن الموجود في الخارج إنما يُقصد منه ما كان له وجود جسمي، وجود مادي، وجود محسوس، أو ما يقرب من ذلك، وأما حينما أقول ما هو في الواقع في عالم الواقع فإنما هو في عالم الواقع يشمل الوجود الخارجي ويشمل الوجود الذهني، فهناك الكثير من الموجودات الذهنية التي هي قائمة في الوجود الذهني فقط، وعلى أي حالٍ، العلم بشكلٍ مُجمل هو انطباع الصور العلمية انطباع الصور المعلومات في الذهن، هذا بشكلٍ عام معنى العلم، أما كيف يمكننا أن نتصور حقيقة العلم؟ قطعاً الحديث هنا عن حقيقة العلم بالنسبة إلينا، بالنسبة لي وبالنسبة للمشاهدين وليس الكلام هنا عن حقيقة العلم المنسوبة والتي نتحدث عنها بخصوص هذه الفقرة من الزيارة – **وَخُزّانَ الْعِلم** – لكننا نستكشف من خلال معرفتنا لتصوير حقيقة علمنا نستكشف نتلمس شيئاً من معنى علمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هناك عنوانٌ في كتب الفلسفة يعرفهُ المتخصصون في الفلسفة، يعرفهُ دارسوا الفلسفة، ما تسمى بالمقولات، المقولات الكبرى، ما تسمى بالمقولات العليا بالمقولات العشر، لا أريد أن أتعب المشاهدين والمشاهدات بالمصطلحات الفلسفية وبالنظريات الفلسفية لكنني سَأُبَسِّط الكلام بقدر ما أتمكن لأجل توضيح معنى العلم، المقولات الفلسفية الكبرى، المقولات العشر أو المقولات التسع على اختلاف أراء الفلاسفة في ذلك، المقولات والتي قد يقع التعبير عنها في بعض الأحيان بالأجناس العالية أو بأجناس الأجناس، هذه المقولات هي عبارة عن نوع من

التصنيف، الآن في كل علم من العلوم يوجد هناك نوع من التصنيف وإلا كيف نستطيع أن ندرس أيَّ علم من العلوم ما لم يكن هناك تبويب وتصنيف للمعلومات التي يدرسها ذلك العلم، في كل علم من العلوم، في العلوم المختبرية، وفي العلوم الإنسانية، في العلوم النقلية، في العلوم العقلية، في أي علم من العلوم هناك تبويب وتصنيف على أساسهِ تقسم مسائل العلم أو تُقسم الأمور التي يدرسها ذلك العلم، تحت عناوين معينة، مثلاً حين يأتي الدارسون فيدرسون الأمراض ألا يقسمونها إلى أنواع وإلى أنحاء، هناك الأمراض الجسدية التي تصيب الجسد، وهناك الأمراض النفسية، وهناك الأمراض العقلية، الأمراض العقلية باب واسع، الأمراض النفسية باب واسع، الأمراض الجسدية باب واسع، وهكذا في كل باب من هذه الأبواب أنواع وتصنيفات وهكذا في كل علم من العلوم.

في الفلسفة هناك تصنيف للأشياء التي تدرسها الفلسفة، والفلسفة الإلهية بشكلٍ عام بنحوٍ عام إنما تتناول دراسة الوجود، تتناول دراسة الموجودات، فهناك تقسيم للموجودات بعدة لحاظات، لحاظ من هذه اللحاظات أو نوع من أنواع التبويب نوع من أنواع التصنيف لدراسة الوجود لدراسة الموجودات وطبائع الموجودات وما يرتبط بها وما يؤدي إلى تصنيفها وتنويعها هناك تبويب هناك عناوين تسمى باسم المقولات، ولا أريد أن أخوض كثيراً في هذه المسألة، أحدى هذه المقولات يُصطلح عليها الكيف، مصطلح الكيف، ومصطلح الكيف مشتق في أصلهِ من أداة الاستفهام كيف، مصطلح الكيف في أصله مشتق من أداة الاستفهام كيف، كيفَ عن أي شيءٍ نسأل بها؟! حينما نقول: كيف هو الأمر الفلاني، السؤال يكون عن حالة ذلك الأمر وطبيعته التي يتهيأ منها ويتهيأ بها، فحينما نتحدثُ عن كيفية شيءٍ من الأشياء، ما يقال له كيفية ذلك الشيء يقع تحت هذا العنوان الكيف ويقال الكيفيات، والكيفيات على أنحاء هناك الكيف المحسوس، الكيف المحسوس أيضاً ينقسم بانقسام الحواس بحسب المشهور هناك الحواس الخمس، الإنسان يمتلك حواس كثيرة لكنني لستُ بصدد الدخول في هذا الموضوع، فلنتحدث عن الحواس الخمس، فلنتحدث عن حاسة الذوق مثلاً الآن نحنُ حينما نتحدثُ عن السكر فبأي شيءٍ نَصِفُ السكر؟ حين نتحدث عن كيفية السُكر، عن كيف السكر، عن حالة السكر، عن طبيعة السكر، نَصِفُ السكر بالحلاوة وهذا أول شيءٍ يتبادر إلى أذهاننا حين نتذكر السكر سواء كان هذا التذكر لفظي أو هذا التذكر ذهني، مجرد أن نتذكر السكر يتبادر إلى أذهاننا مباشرةً الحلاوة، هذه الحلاوة توجد لها صورة في ذهن الإنسان وهي

الصورة الذهنية للسكر، السكر شيءٌ حلو هذه الصورة محفوظة في خُزانة الذاكرة العلمية للإنسان، لكن كيف وصلت هذه الصورة إلى الذهن البشري؟

هناك قدرة عند الإنسان، أنا شخصياً أصطلح عليها بالقدرة الانتزاعية، هناك قدرة عند الإنسان أسميها القدرة بالانتزاعية، القدرة الانتزاعية الله سبحانه وتعالى وهبها للإنسان وحتى للحيوان وحتى للنبات، لكن الحديث عن الإنسان والقدرة الانتزاعية عند الإنسان في أعلى درجاتها لو قيست بالنسبة للحيوانات وبالنسبة للنباتات، القدرة الانتزاعية قدرة وقوة عند الإنسان من خلالها يستطيع الإنسان أن ينتزع معاني أن ينتزع صور من الأشياء المحيطة به التي يؤثر فيها أو يتأثر بها، سواء كان الإنسان فاعلاً فيها أو منفعلاً بها، حينما أقرب من فمي قطعةً من السكر وحينما أدخلها في فضاء فمي وتبدأ هذه القطعة بالذوبان في أول عملية هضم لها في جوف الفم تبدأ هذه القطعة من السكر بالذوبان فاستشعر بسبب حاسة الذوق وبسبب القدرة الموجودة في الشعيرات العصبية وفي القدرة العصبية الموجودة في فم الإنسان وفي شفتي الإنسان وفي لسان الإنسان الآلية التي جعلها الله سبحانه وتعالى لتذوق المطعومات والمشروبات عند الإنسان، هذا السكر كيفَ نقل لي طعم حلاوته؟

أنا أملك وسائل لتلمس ولتذوق الحلاوة لكن السكر كيف نقل لي هذا الطعم!! يقولون في الفلسفة بأن هذا السكر، هذا المحسوس الذوقي، هذا السكر فعل في مجاورهِ شيئاً أن نقل إليه بعض خصائصهِ، السكر في طبيعتهِ هو حلو، فحينما وجد في فضاء فمي وبدأ بالذوبان السكر نقل طبيعتهُ شيئاً مشابهاً من طبيعتهِ، وإلا لم ينتقل السكر إلى حاسة الذوق عندي، الذي انتقل إلى حاسة الذوق هو شيء من طبيعة السكر، أنا أخذت السكر فتناولتهُ فذاب السكر في فمي فأحسست بحلاوتهِ، السر في ذلك أن السكر نقل إلى حاسة الذوق عندي شيئاً من طبيعتهِ، ما سميتهُ قبل قليل بالقدرة الانتزاعية، الحقيقة ليس هو السكر الذي نقل لي وأنما قالت الفلسفة في بعض جهاتها هكذا، وإنما إذا أردت أن أصف الأمر بالدقة هناك قدرة انتزاعية موجودة عند الإنسان يستطيع الإنسان أن ينتزع خصائص الأشياء بهذه القدرة، فإذا كان هذا السكر حلواً ووُجد في فضاء الفم قريباً من الملامس الذوقية، هذه الملامس الذوقية الموجودة عند الإنسان، هذه القدرة الذوقية الموجودة عند الإنسان موجودة فيها مودعة في داخلها قدرة انتزاعية لانتزاع صورة مطابقة للأصل السكري، وبعد ذلك هذه الإشارات التي أخذتها هذه اللوامس الذوقية تُنقل عِبرَ الأعصاب في

موجات في إشارات إلى الذهن البشري فتُخزن هناك، هذه العملية هذه الحالة هذه الصورة تسمى في الفلسفة بالكيف المحسوس، يعني أن السكر فعل في مجاورهِ شيئاً يشبه طبيعة السكر، كما هو الحال مع النار، النار حينما تُسَجَّر في مكان فإنها سَتُدفيء ما حولها كيف أدفأت ما حولها؟ أنها نقلت شيئاً من خصائصها إلى الجو الملامس لها، النار نقلت شيئاً من كيفيتها، وهكذا وهناك الكيف المسموع للصوت وهناك الكيف المرئي نحن كيف نرى الأشياء؟ قديماً كانوا يقولون بأن العين هي التي ترى الأشياء ولكن العلم الحديث أثبت أن العين لا تستطيع أن ترى الأشياء من دون النور، النور الضوء هو الذي ينقل صور الأشياء إلى العين، هذا كيفٌ مرئي لا أريد الحديث كثيراً في هذه القضية، إنما أردت أن أقرب المعنى، أين موقع العلم من هذا؟ العلم يقولون عنه بأنهُ كيفٌ نفساني، إذا كان السكر يعطينا كيفاً محسوساً، العلم هو كيفٌ نفساني، الكيف النفساني يعني الذي يكون خارجاً عن الحواس، طبعاً هناك عندنا علم من طريق الحواس، وتلك مسألة أخرى ولا أريد الخوض فيها لا أريد الخوض في كل هذه الجزئيات والتفصيلات، العلم كيفٌ نفساني يعني أن الإنسان عنده قدرة على انتزاع صورة من الأشياء المحيطة بنا، هذه الصورة المنتزعة من الأشياء المحيطة بنا أين تكون؟ تكون في الذهن البشري، تكون في الحافظة، في الذاكر العلمية للإنسان، ما هي طبيعة هذه الصورة؟ طبيعتها أنها كيفٌ نفساني، مثل ما أن السكر نقل لنا بالكيف المحسوس طبيعة حلاوتهِ، الأشياء المحيطة بنا نقلت إلينا صورها بأي طريقة؟

بطريقة الكيف النفساني يعني الأشياء المحيطة بنا نقلت هذه الصور إلى نفوسنا إلى العالم النفسي إلى العالم الروحي إلى العالم العقلي للإنسان، فهذا هو الكيف النفساني، يُقال بأن العلم يقع تحت مقولة الكيف النفساني، باعتبار أن العلم حقيقة موجودة في حياتنا، فحينما تأتي الفلسفة لدراسة هذه الحقيقة تحت أي مقولة تحت أي بابٍ تُصَنِّفُها؟ إنها تُصَنِّف ذلك تحت مقولة الكيف وبالدقة تحت مقولة الكيف من النوع النفساني، إذاً العلم كيفٌ نفساني، وهنا وقع النقاش بين الفلاسفة قديماً ومنذ زمن الإغريق وقع هذا النقاش بأن هذه الصور الموجودة في ذهن الإنسان، هذه الصور هل هي المعلومات بنفسها أم هي خيال وظل للمعلومات، فقالوا لو كانت هذه الصور هي المعلومات بنفسها وبحالها لترتبت الآثار الواقعية والخارجية على هذه الصور في ذهن الإنسان، نحن حينما نتصور الثلج فهل نستشعر ببرودتهِ؟ لا نستشعر ببرودتهِ، يعني لو كان الثلج بنفسهِ موجوداً في أذهاننا لأحسسنا ببرودتهِ لكننا لا نملك في أذهاننا ثلجاً حقيقياً وإنما نملك في

أذهاننا صورة، وهذه الصورة منتزعة وتحمل الحقيقة، ولذلك من هنا حدث الاشتباه في الفكر السفسطي أو السفسطائي الذين قالوا بأن ما هو موجود في ذهن الإنسان لا يمثل الحقائق الخارجية، لماذا قالوا بأن الموجود في ذهن الإنسان لا تترتب عليه الآثار الموجودة في الواقع الخارجي، يعني حينما نتصور النار فإننا لا نستشعر حرارتها ولا نحترق بها وإنما نملك صورةً ظلية، ومن هنا قالوا بأن الموجود في الذهن البشري لا يمثل معرفةً حقيقية، ولذا قالوا بأن الإنسان لا يملك طريقاً للعلم بالواقع، لماذا؟ لأن الواقع لا يدخل في ذهن الإنسان وإنما الذي يدخل في ذهن الإنسان مجرد صور وخيالات، وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية، قبل قليل أشرت إلى القدرة الانتزاعية، هذه القدرة الانتزاعية الموجودة عند الإنسان إنما تنتزع الصورة الحقيقية للشيء.

الله سبحانه وتعالى أودع هذه القدرة عند الإنسان وأودعها في جميع جنبات وجهات الإدراك البشري، إن كان هذا الإدراك بالمستوى العقلي والمستوى العقلي على درجات وعلى مراتب، وإن كان هذا الإدراك بالمستوى الوجداني والقلبي وأيضاً الإدراك الوجداني على درجات ومراتب، وإن كان هذا الإدراك بالمستوى الحسي والحواس كثيرة ولا يشتبه عليك إن الحواس فقط هي الخمس، أنا أأتي بمثال مثلاً حينما يتغير الزمان على الإنسان أو يتغير المكان ويحس الإنسان بتغير الزمان والمكان لو نظر الإنسان بدقة لوجد أنهُ يملك حاسةً يستشعر بها تغير الزمان وتغير المكان من غير هذه الحواس المعروفة، حينما نرفع شيئاً ثقيلاً وآخر خفيفاً فنستشعر الفرق في وزن هذه الأشياء بأي حاسةٍ استشعرنا ثقل الشيء وخفته؟

ليس بالحواس الخمس ولا بحاسة إدراك تغير الزمان والمكان هناك حاسة أخرى عندنا نميز بها الشيء الثقيل من الخفيف، هناك العشرات والعشرات والعشرات من الحواس الموجودة عند الإنسان، فهناك الإدراك العقلي بمراتبهِ، وهناك الإدراك الوجداني بمراتبهِ، وهناك الإدراك الحسي بمراتبهِ الكثيرة جداً، وهناك الإدراك البصيرتي الإدراك الذي يرجع إلى البصيرة، وهناك الإدراك المشترك، هناك الإدراك المشترك وهو الإدراك الإنساني، هناك إدراك عند الإنسان تجتمع فيه كل هذه المدارك، قطعاً هناك الإدراك الفطري وهناك معاني أخرى للإدراك ولمراتب الإدراك، هناك الإدراك الإلهامي وقد يكون الحدَس من أوائل مراتب ودرجات الإلهام، وإن كان الإلهام في درجاتهِ العليا لا يشبه الحدَس، حقيقة أخرى، قضية أخرى، فهناك مراتب كثيرة للإدراك البشري هذه المراتب الكثيرة من الإدراك البشري هي التي تعطي للإنسان القدرة بسبب ما فيها من قدرة انتزاعية على معرفة الحقائق في الواقع، سواء كانت هذه الحقائق موجودة بوجودٍ خارجي في العالم الخارجي،

أو موجودة بوجودٍ ذهني في العالم الذهني، وهذه الموجودات الموجودة في الواقع الخارجي سواء كانت مادية أو كانت برزخية أو كانت غير ذلك من المراتب الخلقية الأخرى، فعلم الإنسان إنما يكون تصوره بهذه الهيئة، بهذه الحالة هو كيفٌ محسوس.

أما علم الله سبحانه وتعالى فذلك شيءٌ آخر لا ينطبق عليه هذا الكلام، علم الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يُقال بأنهُ علم انتزاعي، علمي أنا وعلم المشاهد علم انتزاعي، بالقدرة الانتزاعية ننتزع الحقائق الموجودة في الواقع الخارجي، في الواقع بشكل عام، وكل حقيقةٍ إن كانت خارجية أو ذهنية بحسبها، وأساليب الانتزاع المودعة عند الإنسان تختلف ما بين العقل والوجدان، وما بين الحواس وما بين البصيرة، وغير ذلك من قوى الإدراك البشري، علم المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، علم المعصوم أيضاً ليس هو من هذه الرُتبة، والروايات والأحاديث تُحدِّثُنا عن خصائص علم المعصوم، قطعاً أنا لا أنفي وجود القدرة العقلية والقدرة الوجدانية والقدرة الحسية وقدرة البصيرة، ما عند الناس من قدرات عند المعصوم في وجودهِ البشري، هذه القدرات موجودة لأنها من كمال خلقة الإنسان بما هو إنسان في العالم الأرضي، وإن كان المعصوم لا يحتاجُ إلى هذه القدرات لكنها كبقية أعضاء الجسد، علم المعصوم أعلى رتبةً من هذه القدرات ومن هذه المراتب، قد يتعامل المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بهذه الأمور وفقاً لحياتهِ في المجتمع البشري ووفقاً للقانون وللقاعدة التي يعمل بها المعصوم مع الناس من أنهُ يعيشُ معهم على أساس المداراة، وهذا موضوعٌ آخر لا أريد الخوض فيه، لأن المداراة أوسع من أن تكون في حدود اللفظ أو في حدود الكلام أو في حدود بيان المطالب العلمية، المداراة موضوع أوسع من هذه القضية، قد أتناولهُ في وقتٍ آخر في بحثٍ آخر وأبين أن المعصوم عليه السلام يعيش مع الناس وفقاً لقاعدة المداراة ووفقاً لقانون المداراة.

فتبين لنا من خلال هذه المقدمة أنَّ حقيقة العلم الذي نملكهُ من الوجهة الفلسفية هو كيفٌ نفساني، مثل ما يؤثر السكر في ألسنتنا في شفاهنا في فضاء الفم فيؤثر فينا بشيء يشبه طبيعة وخصائص السكر، كذلك الأشياء المحيطة بنا حينما نوجه أنظارنا إليها تؤثر فينا تأثيراً بنحو الكيف النفساني فتنتقل إلينا هذه الصور والوسيلةُ عبر القدرة الانتزاعية الموجودة عند الإنسان المودعة في كل مدارك الإنسان، ومع ذلك فهناك تقسيمٌ آخر لعلمي ولعلم المشاهد، هناك ما يسمى بالعلم الحصولي، وهناك ما يسمى بالعلم الحضوري، ولا أريد التفصيل كثيراً في هذه القضية بشكل سريع أقول، ما يسمى بالعلم الحصولي بالنسبة للإنسان لي

ولأمثالي، أن تنطبع صورة المعلوم عند الإنسان، مثل الكثير من المعلومات، مثل هذه المعلومات التي أتحدث الآن إليكم بها، هذه المعلومات قطعاً لا أستطيع أن أذكرها ما لم تكن هناك صور لها موجودة في ذهني، هناك صور للمعلومات، العلم الذي يكون بهذه الحالة بهذه الهيئة صور للمعلومات في ذهن الإنسان يسمى بالعلم الحصولي، وهناك علم آخر وهو العلم الحضوري، العلم الحضوري أن يكون المعلوم حاضراً بنفسهِ، بالنسبة للإنسان كيف يتحقق هذا المعنى؟ علمي بنيتي هذا علم حضوري لأن النية موجودة عندي، علم الإنسان بنفسهِ وبحالاتهِ النفسية هذا علم حضوري، فالمعلوم هنا حاضر بنفسهِ وليس صورة المعلوم، الآن مثلاً حينما أتحدث عن القمر أو عن الشمس، هل الشمس حاضرة عندي موجودة في داخلي، في داخلي الإنساني!! الشمس غير حاضرة إنما الموجود في ذهني هو صورة الشمس، العلم بالشمس بالنسبة لي هو علم حصولي لماذا؟ لأن الحاصل عندي الحاصل في ذهني هو صورة المعلوم، لكن علمي بنيتي نيتي موجودة عندي، علمي بنيتي هو علم حضوري.

علم المعصوم يكون من هذه المرتبة، الأشياء حاضرة عنده، المعلومات حاضرة بنفسها وهذا هو علم الإحاطة أن الأشياء حاضرة بنفسها عنده ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذه الرؤية تستند إلى العلم الحضوري ولا تستند إلى العلم الحصولي لأن هذه الرؤية بسبب الإحاطة، يعني أن المعصوم أعطاه الله سبحانه وتعالى قدرة أن يحيط بهذه المعلومات بنفسها لا بصور المعلومات، كما أني قادر على أن أحيط بنيتي، أليس الآن أنا محيط بنيتي ونيتي حاضرة عندي، المعصوم نيات الخلائق أعمال الخلائق حاضرة عنده وإلا ما معنى هذه الرؤية؟ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ طبعاً هذا التقريب للعلم الحضوري بالنسبة للإنسان يكشف عن حقيقة علم المعصوم بنحوٍ يسير جداً، علم المعصوم أرقى رتبةً من هذا العلم، لكنني كيف أحاول تقريب المعنى لنفسي ولمن يستمع لي، كيف أقرب المعنى، لابد أن أحتاجَ إلى وسائل إيضاح، لابد أن أحتاج إلى آلياتٍ لتوضيح المطلب، لذلك أنا جئت بهذه المقدمة ابتداءاً من الكيف النفساني ومن ثم دخلت إلى العلم الحصولي والعلم الحضوري وكل ذلك إنما هو عن طبيعة علم الإنسان العادي، علمي وعلمك، أما علم المعصوم فهو من نحوٍ آخر، علم المعصوم حتى لا يمكنني أن أقول بأنهُ علم حضوري كالعلم الحضوري الذي هو عندي كعلمي بنفسي، علم المعصوم يمكن أن أصطلح عليه

بالعلم الحضوري بما يناسبهُ هو، حين يقول سيد الأوصياء – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – هذا اختراق لحقائق الأشياء، هذا اختراق، ما رأيتُ شيئاً، القضية ليست قضية روحانية كما يريد البعض أن يصورها بأن الإمام عليه السلام يعيشُ في حالةٍ روحانية فهو إذا نظر إلى الأشياء من باب أن الآثار تدل على المؤثر، متى كان أهل البيت يتعاملون مع الآثار!! وأنا أقرأ في أدعيتهم التي علموني إياها في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة – **إلهي ترددي في الآثار يوجب لي بُعد المزار** – إذا كان هذا المعنى يصح لي ولأمثالي فمتى تردد عليٌّ في الآثار؟!

حين يقولها عليٌّ: **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه**. هذا اختراق، اختراق لحقائق الأشياء وتلك هي الإحاطة، في دعاء البهاء في دعاء السحر وليالي شهر رمضان قادمة ويستحب قراءتهِ، القراءة لا تكفي – **ألا لا خير في قراءةٍ ليس فيها تدبر** – القراءة تحتاج إلى تدبر – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – علم نافذ، علم اختراقي، يقال سهمٌ نافذ، السهم النافذ السهم الذي يخترق الهدف يصيب الهدف ثم يخترقهُ، يقال نفذ السهم، دخل السهم في الهدف في الغرض الذي رُمي إليه فاخترقهُ – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – الحديث هنا ليس عن العلم في الذات الإلهية لا يوجد في العلم في الذات الإلهية مراتب – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – يعني هناك علم نافذ وعلم أنفذ، الحديث هنا ليس عن علم الذات الإلهية، فعلم الذات الإلهية ليس فيه مراتب، علمهُ واحد، علمهُ ذاتهُ، ذاتهُ علمهُ – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – يعني هناك علم نافذ وهناك أنفذ، وهل هناك من علم أنفذ من هذا العلم؟ من علم عليٍّ – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – قد أُقَرِّبُ لك المعنى، حينما يكون أمامي قطع من الثلج، أمامي أو أمامك أمام الناس، حينما يكون أمامنا قطع من الثلج نحن نعلم بأن هذا الثلج إنما هو ماء ولكن هذا الماء بسبب انخفاض درجة الحرارة تقلصت المسافات الجزيئية فاقتربت جزيئات الماء من بعضها فحين اقتربت هذه الجزيئات من بعضها ضعفت الحركة الجزيئية، سرعة الحركة الجزيئية تباطأت، المسافات فيما بين الجزيئات قلت بسبب درجة الانخفاض في درجة الحرارة، قلّت المسافات بين الجزيئات مما أدى إلى التباطؤ في سرعة حركة الجزيئات فتماسكت الجزيئات فيما بينها فصار الماء ثلجاً، الثلج ماء، والماء نحن نعلم بأنهُ مؤلفٌ من الهيدروجين والأوكسجين، ورمزهُ معروفٌ لديكم H_2O في كل جزيئةٍ من جزيئات الماء هناك ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين، ذرة الأوكسجين

كبيرة وذرتا الهيدروجين صغيرتان، فهناك ذرة الأوكسجين الكبيرة وذرتا الهيدروجين الصغيرتان، فحينما يخترق النظر العلمي هذا الثلج أين يصل، الثلج أصلهُ ماء، أصل الماء هيدروجين وأوكسجين، الهيدورجين والأوكسجين ما هما؟ غازات وإنما تكون الأشياء غازات المواد غازات بسبب التباعد بين ذراتها بين جزيئياتها وبسبب الحركة السريعة كلما ازدادت سرعة الجزيئات والذرات وتباعدت فيما بينها تحولت الأشياء إلى غازات، والهيدروجين والأوكسجين يتألف من ذرات، وهذه الذرات فيها نواة، والنواة فيها نوية وهناك الموجودات التي تدور في فلك الذرة هذه الأجزاء الصغيرة من الألكترون البروتون النيوترون وأنواع كثيرة الآن اكتشفت من الجسيمات الصغيرة، الآن في العلوم الحديثة اكتشفت أنواع كثيرة من الجسيمات الصغيرة، هناك من يقول يحتمل أن يُكتشف في هذه الذرات مليارات من الجسيمات الصغيرة في الأزمنة القادمة، الآن يقولون بأن هناك أكثر من 250 نوع من أنواع هذه الجسيمات اكتُشِفت ولم توضع لها أسماء وإنما وضعت لها أرقام، ما حقيقة هذه الجسيمات؟

إنها نحوٌ من أنحاء الطاقة، نحوٌ من أنحاء الطاقة الكهرومغناطيسية، ما حقيقة الطاقة الكهرومغناطيسية؟

لا أحد يعرف ما وراء ذلك لكن لو رجعنا إلى الروايات تقول الروايات بأن أصل الأشياء إنما هو نور ولكن ليس نوراً حسياً، هذا النور تشكل وظهر في ظهورات ومراتب وفي أسفل هذه المراتب ظهرت هذه الوجودات المادية في العالم الطبيعي، فهذه تجليات من هناك، مقصودي إن الناظر إلى قطعة الثلج هذه بالنظر العلمي المحدود يمكن ان يصل إلى تلكم الأبعاد، هذا وعلم الإنسان علم محدود وعلم من النوع الحصولي وهو حصول صورة المعلوم في ذهن الإنسان، ومن النوع الكيفي النفساني، وعلم المعصوم يختلف عن ذلك، المعصوم عنده إحاطة بنفس المعلوم، وهذه الإحاطة ليست إحاطة تمَلُّك وإنما إحاطة نفاذ، ليس فقط يحيط به كي يمتلكهُ كإحاطة المالك للملك في العالم الدنيوي – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – حينما نقول بأن القرآن هو تبيانٌ لكل شيء، كل هذه الحقائق التي جاءت في القرآن، القرآن تحدث عن الله وتحدث عن السماوات وتحدث عن الملأ الاعلى وتحدث عن العوالم الطبيعية الأخرى وعن الإنسان وعن كل شيء، المعصوم حين يعلم بهذه الحقائق لا يعلم كعلمي بها بأن تكون هناك صور في الذهن، وإلا ما الفارق إذاً بيني وبينه؟! لماذا صار هو الحجة عَلَيَّ، المعصوم لماذا أعطي الولاية التكوينية؟ إذا كان علمهُ كعلمي مجرد صور في الذهن، إنما نظرهُ نافذ في الأشياء – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – وأنا

جئت بهذا المثال حينما نأخذ قطعة من الثلج هذا نوعٌ من النفاذ العلمي ولكن محدود، حينما أنظر إلى الثلج بأنهُ ماء، والماء يحلل إلى كذا وكذا إلى آخر ما ذكرتُ من المثال، المعصوم حينما يحيط بالأشياء فإنما يُدركها هكذا كما قال سيد الأوصياء وبلسان الإشارة – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – فإن نظرةُ نافذ، نظرةُ ثاقب، هذا اختراق، هذا هو النفاذ، هذا هو العلم الأنفذ، فهو لا يرى شيئاً إلا ويرى أصل حقيقتهِ، وهذه نظرة لا يمكن أن نتصورها لأننا لا نملكها وإنما كل هذا الكلام أمثلة وعبارات تقرب المعاني لعلنا نتلمس شيئاً من علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، من علم عليٍّ وآل عليّ، والموضوع طويل، الموضوع عريض، الموضوع لا يمكنني أن أحيط به بعُجالة في ساعةٍ في ساعتين في ثلاث ساعات، هذا الموضوع من أوسع الموضوعات، لكنني سأحاول أن ألملم أطراف الحديث بعد هذه المقدمة التي بينت فيها جانباً من معنى العلم.

أذهبُ إلى كتاب الله الكريم لأعيش شيئاً ما بين آياتهِ الشريفة، في سورة البقرة وفي الآية الخامسة والخمسين بعد المئتين وهي آية الكرسي، الكرسيُ الذي يحيط بالسماوات والأرض، ماذا تقول هذه الآية؟

﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ﴾ من هنا ننطلق في البحث من هذه الآية، العلم هو علم الله وليس من مخلوقٍ أن يحيط بشيءٍ من علمهِ، وليس بعلم الله ﴿ **إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ إلا أن يشاء هو سبحانه وتعالى، القاعدة من هنا تبدأ حين نريد الحديث عن علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد يبدأ الكلام من هنا وينتهي الكلام هنا ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ﴾ هذا الكلام يَعمُّ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد ويَعُمُّ غيرهم، إذا دخل فيه مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد فمن غيرهم ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ﴾ لكنهُ هو استثنى قال ﴿ **إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ ثم تبين الآية جانباً من علمهِ ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ والكرسي تكون إليه السماوات السبع كالقطرة إلى البحر كالحلقةٍ في الفلات الواسعة المتسعة، الكلام هنا عن الآية ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ إذاً كل كلامنا سيتفرع على هذه القاعدة، هذا هو القانون والقاعدة الذهبية التي يبدأ منها الكلام وينتهي عندها الكلام ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ العلم علمهُ وهو المُشيءُ الذي إذا شاء أن

يهب علمهُ لمن يشاء فهو القادر على ذلك، هذه الآية تحتاج إلى تبَصُّر، تحتاج إلى تدبر ولا أجد وقتاً كافياً للوقوف عندها، ولكني أعتقد بأن من يهتم ممن يتابعني بهذه المباحث بهذه الموضوعات سيتدبر في هذه الآية ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بدايتنا من هنا ونهايتنا هنا العلم علمهُ فقط، وهو الذي بيدهِ أن يعطي وبيدهِ أن يمنع، والاستثناء واضح، هذه الآية الأولى التي أقف عندها.

الآية الثانية هي في سورة الحجر المباركة الآية الحادية والعشرون ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ هناك خزائن وهناك قَدَرٌ معلوم، والقدر المعلوم مردهُ إلى العلم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ونحن نقرأ في الزيارة – **وَخُزّانَ الْعِلم** – وقلتُ الحقيقة تقول بأنهم هم خزائن الله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ يعني لا يوجد شيء في هذا الوجود ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ هناك الخزائن ونُنَزِّله، والتنزيل وهو ظهورات الأشياء، نحن لنا ظهورات في العوالم العلوية وهذه الظهورات تنزلت حتى ظهرت بهذه الصورة الجسمانية في العالم الأرضي، أليس الروايات تحدثنا عن وجود صور لنا في عالم العرش وفي عوالم أخرى، وهذه الصور تنزلت شيئاً فشيئاً، تنزلت، تَنَزُّل، لها ظهورات تتناسب مع كل عالم من عوالم الله سبحانه وتعالى حتى ظهرت في العالم الأرضي ونزلت بِقَدرٍ معلوم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

الرواية يرويها الشيخ المجلسي وهذا هو الجزء الثالث عشر من بحار الأنوار، في الصفحة: 330 ينقلها عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه – **عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لَمَّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربه عزَّ وجلّ** – ماذا ناجى ربه؟ إمامنا الصادق يحدثنا – **لَمَّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربه عزَّ وجل قال: يا ربي أرِني خزائنك، قال: يا موسى إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كُن فيكون** – الآية التي بين أيدينا ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهي الآية الحادية والعشرون من سورة الحجر، موسى لَمَّا صعد إلى الطور في الميقات – **يا ربي أرِني خزائنك، قال: يا موسى إنما خزائني إذا أردتُ**

شيئاً أن أقول له كُن فيكون – خزائني هي هذه، ومرَّ علينا في الحلقات الماضية كلام سيد الأوصياء الذي ينقلهُ أيضاً الشيخ المجلسي في البحار في الجزء الخامس والعشرين في حديث طارق بن شهاب، كلام سيد الأوصياء واضح وصريح وهو يتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فيقول – **فهم سِرُّ الله المخزون وأوليائهُ المُقربون وأمرهُ بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون** – في نسخةٍ أخرى – **فهم سِرُّ الله المخزون** – مخزون، خزائن، خُزَّانَ العلم – **فهم سِرُّ الله المخزون وأوليائهُ المقربون وأمرهُ بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون** – هذه هي الخزانة، هذه الخزانة التي يتنزل منها كل شيءٍ وبقدرٍ معلوم، ولذلك قلتُ في أول حديثي بأن المراد من قول الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَخُزّانَ الْعِلم** – هم خزائن علم الله، هم نفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم في مقامهم الأول قبل الخلق هم الخزانة الأعظم، وهم في عالمهم الأرضي هم خزائنُ علم الله سبحانه وتعالى. ولذلك ليس غريباً أن نجد القرآن وهو يتحدث عنهم في سورة آل عمران في الآية السابعة وهو يصفهم بعد أن تحدثت الآية عن الكتاب:

﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾ إلى أن تقول الآية الشريفة ﴿ وَمَا يَعْلم تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلم ﴾ فجعل هناك مجموعة هم الراسخون في العلم، الله سبحانه وتعالى جعلهم خُزانة علمهِ لذلك التأويل ما هو التأويل؟ التأويل ليس كما يفهمه البعض وهو إعطاء معاني بعيدة عن اللفظ، التأويل إنما هو إرجاع المعاني إلى أوليتها – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – فهل يعلم ذلك غير عليٍّ وآل عليّ، التأويل أوَّلهُ أرجعهُ إلى أوليتهِ إلى أصلهِ، ذلك النظر النافذ، العلم النافذ – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ وكل علمك نافذ اللَّهُمَّ إني أسألك بعلمك كُلِّه** – التأويل هو ذلك العلم الأنفذ، ولذلك صار الأمر محصوراً بين الله وبينهم ﴿ وَمَا يَعْلم تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلم ﴾ والكلام هو الكلام.

حينما نذهب إلى سورة الرعد المباركة ونقرأ في الآية الثالثة والأربعين ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلم الْكِتَابِ ﴾ والآية واضحة ولا تحتاجُ إلى تفسير، فقط أشير إلى هذه النقطة أن الآية وحدت بين شهادة الله وبين شهادة هذا الذي عنده علم الكتاب، فحينما يؤتى بشهيدين

لابد أن يكون علمهما بالقضية نفسها بنفس العلم وإنما قيل للشاهد شاهد لأنهُ حاضر لأنه حضر القضية، وهذا هو العلم الحضوري، القضية حاضرة عند هذا الذي عندهُ علم الكتاب، لا حاجة للحديث عن علم الله، فعلم الله لا كلام فيه وهو واضحٌ ولا نعرف حقيقته، لكن الكلام عن الذي عندهُ علم الكتاب فالحديث عن خُزَّان العلم وهو سيدهم، هذا الذي عنده علم الكتاب جُعِلت شهادتهُ كشهادة الله، والشهود لابد أن يكونوا قد حضروا كيف حضر هذا الشاهدُ؟ حضر فقال – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – هذه شهادة هذا الشاهد، هذا هو العلم الأنفذ، هذا هو علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا علم عليٍّ وكفى أن أقول عليّاً.

الرواية في تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، والروايات كثيرةٌ في بيان معنى هذه الآية ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير علي بن إبراهيم عن عمر بن أذينة، أقتطف فقط هذه الرواية وإلا فالروايات كثيرة والوقت لا يكفي لإيرادها – **عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسُئِل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عندهُ علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عندهُ علم من الكتاب** – يعني آصف – **عند الذي عنده علم الكتاب** – يعني عليّاً – **إلا بقدر ما تأخذ البعوضةُ بجناحها من ماء البحر** – وقال الذي عندهُ علم من الكتاب، ذلك آصف، أنا آتيك به، يسألونهُ ما هو وجه المقايسة؟ الإمام يقول – **ما كان علم الذي عندهُ علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضةُ بجناحها من ماء البحر** – وهذا فيه إشارة أيضاً إلى حضور المعلوم، فإن البعوضة تأخذ شيئاً من ماء البحر، البعوضة لا تأخذ البحر، وإنما تأخذ شيئاً من ماء البحر، هي الصورة، صورة المعلوم، أما هو عندهُ البحر، المعلوم بنفسهِ، الرواية عميقة جداً فضلاً عن أنها تشير إلى الفارق في المقياس في الرتبة العلمية، لكن فيها إشارة دقيقة جداً، البعوضة أخذت قطرةً مثالاً من البحر.

حينما يسأل سائل فيقول ما هو البحر؟ وهو لم يكن قد رآه وليس قريباً حتى تتمكن أن تأخذهُ إليه تأتيه بقدحٍ من ماء فتقول البحر مكان فيه شيءٌ كثير من هذا السائل، هذه البعوضة أخذت قطرة وأما البحر فهو حاضرٌ عند صاحب البحر عند عليٍّ – **ما كان علم الذي عندهُ علم من الكتاب عند الذي عنده**

علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضةُ بجناحها من ماء البحر – إلى آخر الرواية الشريفة، الوقت لا يكفي حقيقةً لأن أورد الكثير من النصوص والكثير من الروايات لكنني أحاول أن ألملم أطراف حديثي عَلَّني أوفق في أن أعطي المشاهدين والمشاهدات من محبي أهل البيت صورةً عن المعنى ولو كانت هذه الصورة بعيدة، والعذرُ إليكم والعذرُ عند كرام الناس مقبولُ، العذرُ إلى إمام زماني أولاً والعذر إليكم من التقصير والقصور في بيان هذه.

الآية التاسعة والثمانون من سورة النحل المباركة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ هذا التبيان لكل شيء هل هو في صور المعلومات؟ أو هو في حقائق المعلومات؟ هناك إحاطة بهذه المعلومات، المعلوم هو الشيء الموجود في الواقع كان في الواقع الخارجي في الوجود الخارجي أو في الوجود الذهني، في العوالم السفلية أو في العوالم العلوية ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ لكل شيء، كل شيء يشمل كل موجود، وهذا الكتاب تبياناً، لو رجعنا إلى ألفاظ الكتاب هل في ألفاظ الكتاب هناك تبيانٌ لكل شيء، هذه الألفاظ مفاتيح، مفاتيح توصل إلى حقائق أوسع وأعظم، وقد ذكرت مِراراً بأن الحكماء يقولون بأن هذا الكتاب التدويني هو صورةٌ عن الكتاب التكويني ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا هو المعنى نفسهُ الذي نجدهُ في سورة يس المباركة حينما نقرأ في الآية الثانية بعد العاشرة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ المخالفون يفسرون الإمام المبين بالقرآن، هناك أراء أخرى، حتى لو كان هذا الكلام أن الإمام المبين هو القرآن يعني أن كل شيء قد جاء مذكوراً في القرآن، والكلام السابق يأتي مسترسلاً مع هذه الآية. أما في رواياتنا الإمام المبين هو عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، وعندنا روايات عديدة وكثيرة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن المراد من الإمام المُبين هنا عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ .

هناك آية في سورة الأنعام تفسر لنا هذا المعنى، في سورة الأنعام الآية التاسعة والخمسون ماذا تقول هذه

الآية؟ ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلاَّ هُوَ﴾ هذه المفاتح هي مفاتح الخزائن، والخزائن هي المفاتح، هذه خزائن الله، أهل البيت هم خُزَّانُ الله وهم خزائنهُ وهم مفاتحهُ ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلاَّ هُوَ﴾ ثم تبين الآية مصاديق أمثلة لتقرب المعنى ﴿وَيَعْلَم مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ ليس هذا كل الغيب، الدنيا وما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، هذا مثال من الأمثلة، الآية تقول ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ كل المفاتح ما قيمة الدنيا في مفاتح الغيب؟ لكن الدنيا هنا جيء بها مثال فالإنسان لا يرى إلا ما بين عينيه، كما يقال، يقول صلى الله عليه وآله صاحب الحاجة أعمى لا يرى ألا حاجته، ونحن أبناء الدنيا حاجتنا في الدنيا نحن عميان لا نرى إلا حاجتنا إلا هذه الدنيا، صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا حاجته، حينما يكون لشخصٍ حاجة عندك فإنهُ سيكون لحوحاً سيلح عليك كثيراً لأنهُ لا يرى إلا حاجته ويريد قضائها، أما الدنيا بالنسبة لنا هي حاجتنا الأولى والأخيرة، فصاحب الحاجة أعمى، نحن عميان في هذه الدنيا، لماذا؟ لأننا لا نراها إلا هي والقرآن يكلمنا بحسب حاجتنا ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَم مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الكتاب المبين هو ذلك الإمام المبين ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ .

الإمام في لغة العرب تعني الجامع، ولذلك يقال أَمَّ الجماعة أي جمعهم، والكتاب أيضاً هو الجامع، يقال الكتيبة في الجيش لأنها مجموعة من الرجال، ويقال للكتابة كتابة لأنها مجموعة حروف وكلمات، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي في الجزء الرابع من بحار الأنوار، ينقلها عن تفسير شيخنا العياشي رحمة الله عليه – **عن الحسين بن خالد قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله:** ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ – الحديث عن هذه الآية أخذ موطن الشاهد – **قال: قلتُ: في كتابٍ مبين ما معناها؟ قال: في إمامٍ مبين** – الرواية نقلها العياشي في تفسيرهِ عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **قال: قلتُ: في كتابٍ مبين؟ قال: في إمام مبين** ﴿وَكُلَّ

﴿شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ كما جاء في سورة يس المباركة ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الكلام عن مفاتح الغيب.

وفي سورة الجن في الآية السادسة والعشرين والآية السابعة والعشرين ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ – والحديث هنا عن غيبٍ خاصٍ بالله الآية السابقة ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ثم ﴿كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ لكن الآية هنا تتحدث عن غيبٍ خاص ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة، فهناك مستثنى هو النبي وآلُ النبي، الله سبحانه وتعالى يُطلعهم على غيبه، هذه الآيات كلها إلى أي حقيقةٍ تشير؟ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هذه الآية تتحدث عن كل شيء، لا يوجد استثناء، الآية في سورة الرعد ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ والكتابُ كان تبياناً لكل شيء لا يوجد استثناء، والحديث هنا ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ وهو الغيب الخاص ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ الآيات القرآنية صريحة وواضحة تتحدث عن أي شيءٍ؟

تتحدث عن أن علمهم هو علم الله ولا يوجد هناك استثناء، حينما نتبصر في الآية الثالثة والأربعين من سورة الرعد ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ علم الكتاب يعني كل الكتاب، حينما نتبصر في هذه الآية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ﴾ غيبهِ يعني على كل غيبهِ، على كل غيبهِ الخاص به ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ والآيات الباقية كلها تشير إلى هذه الحقيقة ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هذا ليس غريباً وليس بدعاً من القول ونحن نتصفح آيات الكتاب الكريم، مثلاً في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ من هم أهل الذكر؟ الذكر هو القرآن، لا كما يقول المخالفون أهل

الذكر هم اليهود والنصارى، يقول إمامنا صلوات الله عليه إذاً لأضلوكم، إذا سألتموهم إذاً لأضلوكم ولأخبروكم بأن الصواب أن تتبعوا دينهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لا تعلمون يعني مطلق العلم، يعني أن أهل الذكر عندهم مطلق العلم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ ثم الآية تبين ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ الذكر هنا هو القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ هنا السؤالُ يوجه لأهل الذكر فهل يمكن أن الله يأمر العباد بالرجوع إلى أهل الذكر وهم لا يعلمون، علمهم محدود، لابد أن يكون علمهم مفتوحاً مطلقاً واسعاً.

قد يقول قائل بأن هذه الآيات تتحدث عن العلوم الشرعية، القرآن أعمق وأوسع من أن يكون محصوراً في دائرة العلوم الشرعية، وهذا ما حَدَّثَ القرآنُ عن نفسهِ بذلك فقال هو تبيانٌ لكل شيء وما حدثتنا كلمات النبي والأئمة عن القرآن فوصفتهُ بأعظم الأوصاف، وليس الكلام الآن هنا عن خصوصيات القرآن، هذه هي الآية الثالثة والأربعون والرابعة والأربعون من سورة النحل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والآية التي بعدها بينت لنا ما معنى الذكر ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ في الآية السابعة من سورة الأنبياء أيضاً يأتي نفس المعنى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ نفس الكلام الذي مرَّ علينا في الآية السابقة من سورة النحل المباركة، ونفس الشيء في سورة الزخرف في الآية الثالثة والأربعين وفي الآية الرابعة والأربعين ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ – وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ في الروايات المراد من الذكر هنا عليٌّ وهو القرآن الناطق، والمراد في الآيات السابقة القرآن الكتابُ الصامت، ولذلك الذي يتدبر في الآيتين سيجد هذا المعنى واضحاً ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكرُ عليٍّ صلوات الله عليه ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ربما أعود مرةً أخرى إلى هذه الآيات الشريفة فأتناول شيئاً من معانيها ومن مضامينها، والحقيقة الأوسع والحقيقة الأكبر والحقيقة

الأوضح في الكتاب الكريم، حينما نقرأ الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أقرأ الرواية من الكافي الشريف وهذا هو الجزءُ الأول – **عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ – ماذا قال إمامنا الصادق؟ هذه نفس الآية ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، في الكافي الشريف إمامنا الصادق يقول – **نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** – والرواية في غاية الصحة لو أراد أحد أن يبحث في السند، وإن كنا لسنا بحاجة للدخول في مثل هذه المطالب – **عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ **قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** – الأسماء الحسنى هي التي شعت أنوارها في هذا الوجود، والأسماء الحسنى هي التي أشرق منها ومن فيضها كل موجود وهم الأسماء الحسنى، في العالم الأرضي هم مظاهر الأسماء الحسنى، وهم في العوالم الأولى هم حقائق الأسماء الحسنى، فإن الله سبحانه وتعالى حين تجلى فيهم تجلى بكل أسمائِهِ الحسنى، ولَمَّا تجلى بكل أسمائه الحسنى تجلى فيهم باسم العليم وتجلى بكل نورية العليم في حقائقهم الأولى فأعطاهم كل علمهِ، وإلى هذا أشارت الآيات، هم الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى تجلى فيهم بأسمائِهِ الحسنى ومن اسمائه العليم، وأسمُ العليم حين يتجلى فيهم يتجلى فيهم كل العلم الإلهي، والآيات التي مرت كلها تشيرُ إلى هذه المعاني وكلها تشيرُ إلى هذه الحقائق، والكلام كما قلتُ قبل قليل طويلٌ وعريضٌ جداً في هذا الموضوع، فهذا الموضوع من أوسع الموضوعات، أحاول أن أشير إلى أمثلة أو إلى نماذج من الروايات التي تحدثت عن علم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، على سبيل المثال مثلاً: هناك بابٌ في الكافي الشريف، وهذا هو الجزء الأول، بابٌ عنوانهُ أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخَزَنةُ علمه، وقد شرحتُ هذه الروايات في برنامجنا السابق في فناء الكافي الشريف، حيث كان من جملة حلقات ذلك البرنامج أن وصلنا إلى هذا الباب باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخَزَنةُ علمه، اقتطف رواية أو روايتين للتبرك فقط.

عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله وخَزَنَةُ علم الله وعيبة وحي الله. ورواية أخرى عن علي بن جعفر عن ابي الحسن موسى عليه السلام، علي بن جعفر هو اخو الإمام الكاظم عليه السلام – **عن أبي الحسن موسى عن إمامنا الكاظم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزَّ وجل خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه ولنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عُبِد الله عزَّ وجل ولولانا ما عُبِدَ الله** – لنا نطقت الشجرة شجرة الوجود، الشجرة الزيتونة المباركة التي هي لا شرقية ولا غربية، ومنها نبع زيتُ هذا الوجود ومنها أشرق النور في كل موجود – **وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه** – الروايات كثيرةٌ ووفيرةٌ جداً عن أهل بيت العصمة في هذه المضامين وأنهم خُزَّانُ الله وأنهم خزائنُ الله، لكن قد تقول لما جاء التعبيرُ دائماً في الروايات أو في أغلبها بأنهم خُزَّان؟

وأنا قلت بأنهم هم الخزائن، لأن الخُزَّان في لغة الناس وفي فهم الناس هم الذين لهم الولاية على الخزائن، الخُزَّان هم الذين لهم الولاية على الخزائن فهم يعطون وهم يمنعون، فهنا هذا اللسان يريد أن يبين معنى ولايتهم ومعنى قدرتهم ومعنى ما فَوَّض الله إليهم وإلا فهناك في تلكم العوالم لا فارق بين الخُزَّان والخزائن، فهم خُزَّانُ علم الله وهم خزائن علم الله وهم خُزَّانهُ على فيضهِ على سماواته وأرضهِ، هذه الرواية التي قرأتها قبل قليل عليكم – **وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه** – ليس على العلم هنا وإنما على الفيض، وحينما يكون على الفيض فهو على العلم في أصله، فكل شيءٍ في الوجود مَرَدُّهُ إلى العلم وأصلهُ إلى العلم، وحقيقة الوجود هو العلم – **وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه** – هذه خزائن الفيض، بينما الرواية الأولى نحن ولاة أمرهِ – **ولاة أمر الله وخَزَنَة علم الله** – الرواية الأولى كانت تتحدث عن أنهم خُزانة علم الله وخَزَنَة علم الله، والرواية الثانية تتحدث عن أنهم خُزَّانُ الفيض وأنهم خزائن فيض الله سبحانه وتعالى.

قد يُطالع المطالع في الأحاديث مثل هذه الروايات ما جاء في الكافي باب ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم، الروايات التي تتحدث عن أن الاسم الأعظم هو ثلاثة وسبعين حرف وأُعطي الأئمة، أعطي النبي والأئمة اثنين وسبعين حرف هذه الروايات إنما تحدثت عن جانب وسكتت عن الجانب الآخر، والجانب الآخر تحدّثت عنه رواياتٌ أخرى، لا يصح أن نأخذ قسطاً أو جانباً أو جزءاً من الكلام ونترك بقية الكلام، أخذ مثلاً هذه الرواية، الروايات عديدة لكنني أخذ هذه الرواية – **عن الإمام الصادق عليه السلام يقول:**

إن عيسى بن مريم أُعطيَ حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدمُ خمسةً وعشرين حرفاً وإن الله تعالى جمع ذلك كلهُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإن اسم الله الأعظم ثلاثةٌ وسبعون حرفا أُعطيَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآلهِ وسلم اثنين وسبعين حرفا وحُجِبَ عنه حرفٌ واحد – حُجِبَ عنه حرفٌ واحد في أي مقام؟ في مقام النبوة، حينما نأخذ الكلام بالقياس إلى الأنبياء.

الكلام هنا عن حروف الاسم الأعظم لا يعني أن هذه الحروف متساوية، الرواية السابقة التي تسبق هذه الرواية والإمام يتحدث فيها عن آصف بن برقيا وكيف أنه كان يملك حرفاً واحداً والإمام يقول – **ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده** – مرت علينا قبل قليل أنهُ لا يُظهر على غيبهِ أحداً إلا من ارتضى من رسول هذا هو الغيب المقصود هنا – **ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** – فهناك حرفٌ واحد استأثر به الله، قطعاً هذا الحرف الذي استأثر به الله سبحانه وتعالى تكون سعتهُ أوسع من الاثنين وسبعين حرف، لذلك أنا قلت بأن هذه الحروف ليست في نحوٍ واحد من المرتبة، وكل نبي أخذ شيئاً من هذه الحروف، وهذه الحروف التي أخذها أيُّ نبيٍ من الأنبياء لا يعني أنها تكون مساوية في المرتبة وفي العمقِ وفي السعة وفي المنزلة مع بقية الحروف، ربما يكون هناك حرف واحد هو أوسع من كل هذه الحروف وذلك الحرف الواسع هو الحرف الذي كان في علم الله المستأثر – **ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده** – استأثر به أي جعلهُ غيبهُ الخاص، وهذا ما قرأناه قبل قليل في سورة الجن المباركة في الآيات السادسة والعشرين والسابعة والعشرين ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ماذا تقول الرواية هنا؟ – **وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب** – استأثر به أي جعلهُ خاصاً به والآية هنا تقول ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ هذا الغيب المستأثر هو الغيب الذي خصهُ الله بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذه الروايات التي تتحدث عن الاثنين وسبعين حرفاً بمقايسة الأنبياء، أما الحرف الأوسع والحرف الأعظم فهو ذلك الذي استأثر به الله، وهذا

الحرف هو الذي أودعهُ عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسيأتينا من الروايات ومن الأحاديث ما يشير إلى هذه المعاني، الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء ثم تجلى، تجلى في النور الأول حين تجلى في النور الأول تجلى بكل أسمائهِ الحسنى، فهو أجود الأجودين، هل يُعقل للإنسان المخلوق الضعيف أن يجود بنفسهِ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، هل يُعقل لهذا الإنسان أن يجود بنفسهِ فمن أين جاء بهذه القدرة على أن يجود بنفسهِ؟

العرفاء يقولون بأن أجود الجود الإلهي أنه جاد بنفسهِ، ما المراد أنهُ جاد بنفسهِ؟ العبارات مجازية، جاد بنفسهِ أنهُ تجلى بكل أسمائهِ في الحقيقة الأولى، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، من أين جاء الإنسان بهذه المقدرة على أن يجود بكل ما عنده، هناك من الناس من عنده المقدرة ومن عنده الحب بأن يجود بكل ما عنده في سبيل من يحب، من أين جاء بهذه القدرة إن لم تكن من الأصل، كل ما عندنا هو من الأصل، هل يمكن أن يكون الإنسان يملك شيئاً في ذاتهِ في وجودهِ في خصائصهِ في طباعهِ في حالاتهِ وهذا الشيء لم يكن قد أتانا من الله سبحانه وتعالى؟! كل ما عندنا فهو من الله وإلى الله، الإنسان يجود بنفسهِ، هذه الخصلة من أين جاءت؟ جاءتنا من الله سبحانه وتعالى، ما المراد أن الله يجود بنفسهِ؟ قطعاً ليس المراد هذا المعنى الساذج المعنى البسيط المعنى المادي وإنما يتجلى هو أجود الأجودين يتجلى بكل أسمائهِ الحسنى في الحقيقة الأولى، فإذا تجلى بكل أسمائهِ الحسنى في الحقيقة الأولى تجلى بكل علمهِ في الحقيقة الأولى ولكن بما يناسب تلك الحقيقة – **لا فرق بينك وبينها** – كما في دعاء شهر رجب – **إلا أنهم عبادك وخلقك** – كما قال صادق العترة نحن الأسماء الحسنى، هم أسماء الله الحسنى، كيف كانوا أو انطبق هذا المعنى عليهم أنهم الأسماء الحسنى؟ لأن الله جاد عليهم أن تجلى في حقائقهم الأولى، أن تجلى عليهم وتجلى بهم وتجلى فيهم بأسمائه الحسنى وبكل أسمائهِ الحسنى، نحن الأسماء الحسنى، لا يوجد هنا استثناء كل الأسماء الحسنى تجلت في الحقائق الأولى لهم صلوات الله وسلامه عليهم، الروايات كثيرة جداً ربما أشير إلى بعض هذه الروايات، مثلاً هذه الرواية التي قد تختصر لنا الحديث، أيضاً في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول – **عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها** – المشيئة هنا عنوان للنور الأول – **خلق الله المشيئة بنفسها** – يعني خلقها متكاملةً، فكيف خلقها بنفسها؟ إنما خلقها بنفسها متكاملةً لأن كل الأسماء الحسنى تجلت فيها – **ثم خلق الأشياء بالمشيئة** – بعد ذلك الأشياء خُلِقت بهذه المشيئة، المشيئة

هنا ليس المراد منها الإرادة الصفة الإلهية، المراد من المشيئة هنا عنوان للنور الأول المتجلي، خلق الله المشيئة بنفسها متكاملةً، كيف كانت متكاملة؟ بحيث أنها لم تحتج إلى سبب – **يا مُسَبِّبَ الأسبابِ من غير سبب** – هذه العبارة تشير إلى هذه الحقيقة أنها كانت متكاملة لا تحتاج إلى سبب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من دون سبب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ إنها تجلي القدرة الإلهية، إنها تجلي الأسماء الحسنى بكل مظاهرها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يا مُسَبِّبَ الأسبابِ من غير سبب – **خلق الله المشيئة بنفسها** – لأن الأسماء الحسنى قد تجلت بكلها فيها – **ثم خلق الأشياء بالمشيئة** – وكل الأشياء إنما هي مظاهر لكل الأسماء الحسنى، هذه الأشياء المحيطة بنا هي مظهر القدرة الإلهية، مظاهر القدرة الإلهية هي مظاهر كل أسماء الله الحسنى، فمن أين ظهرت ومن أين جاءت؟ جاءت من المشيئة، فالمشيئة هي مَجْمَعُ كل الأسماء الحسنى واسمُ العليم سيدها وأولها، واسمُ العليم متجلٍ في هذه المشيئة – **خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة** ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلم الْكِتَابِ﴾ مَنْ عِندَهُ عِلم الْكِتَابِ يعني أن عنده العلم المجموع، الكتاب هو المجموع، العلم الحقيقي، التجلي الأكمل، وذلك يظهر واضحاً في مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار، والنصوص كثيرة، وهناك روايات كثيرة كنت أرغب أن أتلوها على مسامعكم ولكن يبدو أن الوقت قد انقضى منه الشطرُ الكبير لذلك أحاول أن اختصر المطالب المتبقية بقدر ما أتمكن.

المشية هذه هي التي جاء ذكرها في دعاء ليلة المبعث ليلة السابع والعشرين، وفي دعاء يوم المبعث يوم السابع والعشرين، في دعاء ليلة المبعث – **فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم** – هذا التأكيد والتركيز على هذا التقديس لهذا الاسم – **وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم** – الأعظم الأعظم الأعظم هذا الاسم هو مجمع كل الأسماء وإلا لماذا هذا التعظيم، صيغة أفعل التفضيل المُعَرّفة بالألف واللام، يعني لا يوجد شيء فوقه لا يوجد شيء أعظم منه من خلقه سبحانه وتعالى إلا الله – **وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – فلا يخرج منك إلى غيرك هنا إشارة دقيقة جداً، أي أن هذا الاسم هو خزانة الله الحقيقية، وكل

الأسرار في هذا الاسم، لذلك هو مستقرٌ في ظلهِ فلا يخرج منه إلى غيره، هذا الاسم مخلوق وموصوف بأنهُ الأعظم الأعظم الأعظم بأنهُ جامع لكل الكمالات، وأول الكمالات هو العلم، فحين يوصف بأنهُ الأعظم الأعظم الأعظم يعني أن علم الله بكله قد تجلى فيه لذلك هو استقر في ظلهِ – **فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – ونفس الكلام في دعاء يوم المبعث – **وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقَّر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – تأكيد لنفس المعاني التي جاءت في دعاء ليلة المبعث، هناك تأكيد في دعاء آخر يقرأ في يوم المبعث، ومثل هذه المضامين في الأدعية شيءٌ كثير إنما أوردت هذا مثالاً على المعنى الذي أشرت إليهِ قبل قليل إن الله سبحانه وتعالى خلق المشيئة بنفسها، المشيئة هي هذه: الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، كل الأسماء أشرقت فيها، ومنها بعد ذلك أشرق كل فضل وكل خيرٍ في هذا الوجود.

أتناول نماذج من رواياتٍ وردت عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تكشف عن جوانب من معاني ما نحن بصدده، هذه الرواية يرويها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار – **عن علي بن يقطين عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: والله أوتينا ما أوتي سليمان** – بالقياس إلى الأنبياء الكلام، وهذا في العالم الأرضي – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان** – لماذا هنا أُخِذ سليمان كمثال؟ باعتبار ما صدر من سليمان ومن وصيه من العجائب – **والله أوتينا ما أوتي سليمان** – والناس دائماً مشدودة إلى الأمور الحسية – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان** – فسليمان ما أوتي إلا الشيء القليل بالقياس إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان وما لم يؤتى أحدٌ من العالمين** – إشارة إلى الحرف المستأثر، لأن هذا لم يؤته أحدٌ من العالمين، الكلام واضح وصريح – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان** – وما جاء لبقية الأنبياء ولم يكن عند سليمان – **وما لم يؤتى أحدٌ من العالمين** – ومرت علينا الروايات إن لهم منازل ودرجات لا يحتملها لا نبيٌ مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب، فمن يحتملها يا ابن رسول الله؟ قال: من شئنا، وحدهم هم يحتملونها، هذه رواية.

روايةٌ أخرى، هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الشيخ المجلسي رحمة الله عليه – **عن عمر بن يزيد قال: قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني سألتُ أباك عن مسألةٍ أريد أن أسألك عنها،**

قال: وعن أي شيءٍ تسأل؟ قال: قلتُ له عندك علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبهُ وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: نعم وأكثر من ذاك سل عمَّا بدا لك – مراد الإمام وأكثر من ذاك لا يعني أن علمهُ أكثر من علم رسول الله، لكن لأن السائل حصر علم رسول الله فقط بمستوى علم الأنبياء – **قلت: له عندك علم رسول الله وكتبه وعلم الأوصياء** – يعني أخذ علم رسول الله بعلم الأوصياء يعني هذا المستوى من العلم كما مرَّ علينا قبل قليل في أحاديث الاثنين وسبعين حرف، لَمَّا جاءت الروايات وبينت لنا مقايسة عند آصف حرف واحد، عند عيسى حرفان، عند موسى أربعة، عند إبراهيم ثمانية، عند نوح خمسة عشر حرف، عند آدم خمسة وعشرين حرف، وعند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد اثنان وسبعين حرف، هذه المقايسة باتجاه الأنبياء، أما الحرف المستأثر فذلك شيءٌ آخر، السائل يسأل بهذا المستوى – **عندك علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبهُ وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: نعم وأكثر من ذلك** – أكثر من ذلك يشير إلى الحرف المستأثر الذي هو عند رسول الله وعندهم – **نعم وأكثر من ذلك** – أكثر مما أنت تتصور – **سل عمَّا بدا لك** – الروايات عديدة وكثيرةٌ في هذا المضمار ومنها مثلاً هذه الرواية:

عن أبن أبي عمير عن ابن أذنيه عن أبي عبد الله السلام يقول: – هذه الرواية ومرت علينا قبل قليل – **ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر** – وهي تؤيد نفس المعنى الذي مرت الإشارة إليه قبل قليل، هناك طائفة أخرى من الروايات أو من الأحاديث جاءت مذكورةً في كتاب بصائر الدرجات أذكر نماذج منها، من هذه الروايات:

عن عمر بن يزيد قال أبو جعفر عليه السلام في قولهِ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأهل بيتهِ أهل الذكر وهم المسئولون.**

مرَّ علينا الكلام في آيات الكتاب الكريم بهذا الخصوص وأشرتُ إليها إنما هذا تأييد وتأكيد للمضامين المتقدمة – ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأهل بيتهِ أهل الذكر وهم المسئولون.**

رواية ثانية أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ **قال: إنما عنانا بها نحن أهل الذكر ونحن المسئولون.**

روايات أخرى مثلاً هذه الرواية: **عن مُحمَّد بن مسلم عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **أنهم اليهود والنصارى، قال: إذاً يدعونهم إلى دينهم** – إذا كانوا يسألونهم، هؤلاء المخالفون يقولون بأن أهل الذكر هم اليهود والنصارى – **قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **أنهم اليهود والنصارى قال: إذاً يدعونهم إلى دينهم، ثم أشارة بيدهِ إلى صدرهِ** – الإمام الباقر عليه السلام – **فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسئولون.**

رواية أخرى، **عن عبد الحميد بن ابي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **قال: كتاب الله الذكر وأهله آلُ مُحَمَّد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا** – الناس يعني – **بسؤال الجهال** – فهل يُعقل أن الله يأمرهم بأن يسألوا الجهال! الجُهال مبالغ فيها، صفة مبالغة، الجهال يعني الذين لا يعلمون حقائق الأمور – **ولم يؤمروا بسؤال الجهال وسمى الله القرآن ذكراً فقال:** ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

رواية ثالثة، **عن زرارة قال: قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام قول الله تبارك وتعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **من المعنيُ بذلك؟ قال: قلت: فأنتم المسئولون؟! قال: نعم** – زرارة يسأل الإمام الباقر – **في قول الله تبارك وتعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **من المعنيُ بذلك؟ قال: قلت فأنتم المسئولون؟! قال: نعم، قلتُ: ونحن السائلون؟!** – يعني الشيعة – **قال: نعم، قال: فقلت: فعلينا أن نسألكم؟! قال: نعم، قلتُ: وعليكم أن تُجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، ثم قال: هذا عطاءنا فامنُن أو امسك بغير حساب** – الرواية فيها إشارة إلى الولاية المطلقة لأهل البيت في كل شأنٍ من شؤوناتهم، في الشأن الشرعي، في الشأن الديني، في الشأن العلمي، في الشأن التكويني، وهذا شأنٌ من شؤوناتهم.

هناك بابٌ أيضاً موجود في بصائر الدرجات عنوانهُ الأئمة خُزَّانُ الله في السماء والأرض على علمه، وحين

يكونون خُزَّاناً على علمهِ فهم خُزَّانٌ صلوات الله عليهم على كل شيء – **الرواية عن سؤرة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزَّانُ الله في سمائهِ وأرضه لا على ذهبٍ ولا على فضة إلا على علمه** – الذهب والفضة من شؤونات الدنيا، أما هم خُزَّانُ الله على علمهِ، وعلم الله هو النافذُ على كل شيءٍ، والنافذ في كل الأرض وفي كل ذهبها وفضتها، هم خُزَّانهُ على علمه هم لهم الولاية المطلقة، لَمَّا كانوا خُزَّاناً على علمهِ كانت لهم الولاية، الولاية إنما هي فرعُ العلم.

رواية أخرى، **عن جابرٍ الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزَّانُ الله في السماء وخُزَّانهُ في الأرض** – الحديث هنا عن أنهم خُزَّانهُ في الفيض وعلى الفيض، الرواية السابقة تتحدث أنهم خُزَّانُ علمهِ وهنا هم خُزَّان فيضهِ – **عن جابرٍ الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام والله إنا لخزَّانُ الله في السماء وخُزَّانهُ في الأرض.**

رواية أخرى، **عن سديرٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعتهُ يقول: نحن خُزَّانُ الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خُزَّاننا** – شيعتنا هم موضع علمنا ومرَّ علينا – إن أمرنا صَعِبٌ مستصعب لا يحتملهُ لا نبيٌ مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا عبدٌ امتحن الله قلبهُ للإيمان ولا مدينة حصينة ولا أي شيء، فمن يحتملهُ؟ قال: من شئنا، هناك مجموعة هم يشاءون لهم أن يكونوا في هذه المنزلة فيكونون خُزَّاناً لهم – **قال: سمعتهُ يقول: نحن خُزَّانُ الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خُزَّاننا ولولانا ما عُرِفَ الله.**

رواية أخرى، **عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قوله الله تبارك وتعالى** – هذه الآية الثالثة والخمسون من سورة الشورى وهي آخر آية، الآية السابقة ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وأنا قلت قبل قليل حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكرُ عليٍّ عليه السلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ الإمام يتحدث عن هذه الآية – **في قوله الله تبارك وتعالى:** ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ **الإمام يقول: يعني عليّاً أنهُ جعل عليّاً خازنهُ على ما في السماوات وما في الأرض من شيءٍ وائتمنهُ عليه** ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ هذه مجرد نماذج من روايات كثيرة جداً جداً وردت عن الأئمة في بيان هذه

الحقائق.

هذه الرواية عن ضريس، **عن ابي جعفرٍ عليه السلام قال: إن لله علمين علماً مبذولاً** – وهو العلم الذي أعطاهُ للأنبياء وللملائكة وللرسل – **إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً فأمَّا المبذول فإنهُ ليس من شيءٍ تعلمهُ الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه** – هذا المبذول وهو الذي بُذِل للأنبياء وللرسل وللملائكة – **إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً فأما المبذول فإنهُ ليس من شيءٍ تعلمهُ الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه فأما المكفوف** – الذي كُفْ مُنِع – **فهو الذي عند الله في أمِّ الكتاب** – وأمُّ الكتاب أين هي؟ في قلب رسول الله، وأمُّ الكتاب حقيقة عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ هذه الرواية صريحة وواضحة وجميلة جداً، الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام – **إن لله علمين علم تعلمهُ ملائكتهُ ورسله، وعلم لا يعلم غيره** – هذا العلم الأول وهو الذي مرت الإشارة إليه في الرواية السابقة العلم المبذول – **وعلم لا يعلم غيره** – يعني لا يعلم غير الله بهذا العلم – **فما كان مما يعلمهُ ملائكتهُ ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج** – وهي واضحة جداً في أن الحرف المستأثر إنما يخرج إليهم، أقرأ الرواية مرة ثانية – **إن لله علمين علم تعلمهُ ملائكتهُ ورسله وعلم لا يعلم غيره به، فما كان مما يعلمهُ ملائكتهُ ورسله فنحن نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج** – وقد تجلى عليهم بكل أسمائهِ الحسنى فإليهم خرج.

هناك كلمة جميلة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، هذه الكلمة قالها في آخر شيءٍ كتبهُ في حياتهِ وهي وصيتهُ، وصيتهُ المعروفة، في مقدمة الوصية كتب السيد الخميني هذه الكلمة يقول:

الحمد لله وسبحانك اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن – العبارة دقيقة جداً كما قلت قبل قليل هم الخزائن، وهذا المعنى هو الذي يتجلى من الآيات ومن الروايات – **اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن أسرار كتابك الذي تجلى فيه الأحدية بجميع أسمائك حتى المستأثر منها الذي لا يعلمهُ غيرك** – حتى المستأثر قد تجلى في هذا الكتاب وهم خزائنُ هذا الكتاب والعبارة واضحةٌ وجليةٌ وصريحة، وهي موافقةٌ تماماً لِمَا في هذه النصوص الشريفة ولِمَا في هذه الحقيقة التي تحدثت عنها من أنهم في حقائقهم القادسة الأولى هم مرآة فيض الباري سبحانه وتعالى وهم

مرآة أسمائهِ الحسنى.

هذه رواية أخرى وفي نفس السياق، **عن سماعة بن سعد الخثعمي أنهُ كان مع المفضل عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له المفضل: جُعِلتُ فِداك يفرض الله طاعة عبدٍ على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا، الله أكرم وأرأف بالعباد من أن يفرض عليهم طاعة عبدٍ يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءاً** – وهذا هو الكلام الذي مرَّ علينا قبل قليل من أنهم حينما أمروا بالسؤال وبأنهم أمروا أن يسألوا أهل الذكر فلابد أن يكون أهل الذكر عندهم علم كل شيء.

هذه الرواية **عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون** – هذا الحديث هنا عن علم إحاطي ليس الحديث هنا عن صور المعلومات، الكلام هنا عن إحاطة، عن رؤية إحاطية – **والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: أعلمهُ من كتابٍ أنظر إليه هكذا ثم بسط كفيه ثم قال: إن الله يقول:** ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب فيه تبيانُ كل شيء﴾ – وقطعاً ليس المراد الحديث عن الألفاظ القرآنية بما هي ألفاظ وإنما الكلام عن الحقائق التي هي خلف هذه الألفاظ، لأن هذه الألفاظ القرآنية إنما هي مفاتيح ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ مفاتح الغيب أين أودعها؟ أودع هذه المفاتح في خُزانة الأسرار، وخُزانة الأسرار هم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أُقَرِّبُ الأمر بمثال الإنسان يمتلك قدرة الخيال، الله سبحانه وتعالى أعطانا قدرة الخيال، هذه القدرة التي نستطيع أن نستفيد منها بنحوٍ أوسع مما موجود في قدرات الإدراك الأخرى، الله سبحانه وتعالى أعطانا هذه المساحة وأعطانا أيضاً عليها ولايةً تكوينية، لكن أعطانا هذه الولاية التكوينية وفقاً لساحة الخيال بقدر حكمتنا لأن الله سبحانه وتعالى لم يُعطنا علماً يتفرع عليه الولاية التكوينية، والولاية التكوينية لابد أن تكون محكومة بالحكمة، فبما أن حكمتنا محدودة فأعطانا ولايةً تكوينية لا نسبب فيها ضرراً لا على أنفسنا ولا على أحد، فنحن بإمكاننا أن نؤسس الدول في عالم الخيال وأن نسقطها، بإمكاننا أن نخلق الأشياء العجيبة الغريبة، نوجد هذه الأشياء في عالم الخيال ثم نعدم هذه الأشياء، وهذه مساحةٌ للخلق وللإبداع وأيضاً نحو درجةٍ من درجات الولاية التكوينية، نحن في عالم الخيال نستطيعُ أن نحيط بخيالاتنا، نحن نستطيع أن نخلق

خيالاً صورةً لمخلوقٍ في عالم الخيال نركبهُ من أجزاء نحن نخلقها في عالم الخيال، ويكون لنا علم كامل بكل دقائق هذا المخلوق الذي صنعناه من قدراتنا، وأيضاً لنا ولاية كاملة أن نغير شكله، أن نوجدهُ بشكلٍ آخر، أن نُعدمهُ ثم نوجده مرة ثانية، أن نبعدهُ، أن نُقربهُ، هذا كلهُ يجري في عالم الخيال لماذا؟

لأننا لا نمتلك الحكمة التي يمكن أن نتصرف فيها في الأشياء أما آلُ مُحَمَّد يمتلكون الحكمة المطلقة، نحن نمتلك هذا الخيال خيالُ آل مُحَمَّد هو الواقع هو الحقيقة، كما نحن نعلم بجزئيات صور الخيال، والخيال علمنا فيه علم حضوري فهو موجودٌ في داخلنا كذلك علم مُحَمَّدٍ وآلُ مُحَمَّد بحقائق الأشياء كعلمنا بهذا الخيال، إحاطتهم كإحاطتنا بهذا الخيال، ولايتهم وقدرتهم على الواقع كولايتنا وقدرتنا على هذا الخيال، والقضية أعمق من ذلك بكثير، ولكنني ماذا أصنعُ لعجزي ولعجز الكلمات والمطالب واسعةٌ وعميقة والروايات كثيرة جداً، والحقيقة هذا المطلب بحاجة إلى أكثر من حلقة لكنني حاولت أن أجمع شتات الكلام وأن أمر على جملة من آيات الكتاب الكريم وأن أتناول نماذج مختلفة من كلمات أهل البيت وأن أشير إلى قول عالم واحد من علماء الأُمَّة من علماء شيعة أهل البيت، حاولت أن أخذ نموذج من بعض الأدعية، حاولت أن أجمع تشكيلة من النصوص القرآنية من الأدعية من أقوال العلماء ومن الروايات على اختلاف مراتبها، وأن أبين بعضاً من المعاني الفلسفية، وأن أورد بعضاً من الأمثلة لتقريب هذه الحقيقة، ولكن مع ذلك يبقى الكلام قاصراً، ويبقى حديثي قاصراً، ويبقى كلامي وهذه المعاني في غاية البُعد عن الهدف وعن المرمى، ولكن هذا ما استطعت أن أبينهُ بحسب الوقت وبحسب المقام وبحسب ما أتمكن أن أبينهُ بحدود هذه البضاعة المزجاة، بحدود هذه البضاعة القليلة الكاسدة التي هي بضاعتي فما كان من حُسنٍ ومن صوابٍ ومن دقةٍ فهو منهم، وما كان من نقصٍ ومن سوءٍ ومن تقصيرٍ فهو مني، وأختم حديثي أن أسلم عليهم:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم.

والعذر إليك سيدي صاحب الأمر من القصور ومن التقصير ومن ضعف العقيدة ومن قلة العلم في معرفتكم وأقول السلام عليكم يا شيعة خُزَّان العلم ويا شيعة أهل البيت ويا شيعة أسرار الله يا شيعة عليٍّ وآل عليّ أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ